الكتاب: الحياة الأدبية في عصر النبوة والخلافة.

المؤلف: أ . د النبوي عبدالواحد شعلان

الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

عرض: د. خليل أبو ذياب.

يؤرخ هذا الكتاب للأدب العربي في عصر صدر الإسلام الذي يشمل فترة النبي ﷺ وفترة الخلفاء الراشدين، وهو عصر يمتد زهاء أربعين سنة منذ هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وحتى نهاية خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقد قسم الباحث كتابه ستة فصول تناول في الفصول الثلاثة الأولى قضايا عامة تتعلق بالانقلاب الهائل الذي شهدته الجزيرة العربية منذ أن اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون موئل آخر رسالاته إلى الأرض، وخاتمة أنبيائه المرسلين إلى البشر، فعرض في الفصل الأول مظاهر التأثير التي أحدثها القرآن الكريم في حياة العرب.. كما عرض للحالة السياسية التي تقوم على العلاقات القائمة بين العرب في الجزيرة العربية وجيرانهم المناذرة والغساسنة، وكذلك ظهور كندة القبيلة اليمنية في وسط وشمال الجزيرة وسيطرتها على بعض القبائل العربية هناك.. كذلك عرض للجانب الفكري في حياة العرب والذي أصله الإسلام من خلال دعوته للنظر والتأمل في ملكوت السموات والأرض، وتحرير الأرض، وتحرير العقل من قيوده التي ورثها من الجاهلية المتخلفة.

وفي الفصل الثاني تناول قضية القرآن الكريم وما خلف من آثار واسعة في حياة العرب، كما وقف عند بعض الموضوعات التي تتصل بالقرآن نفسه من مثل غاياته وطرائق تنزله وفاقا للأحداث والمناسبات العامة والخاصة، وكذلك طرائق روايته وجمعه وتدوينه.. ثم عرض لطرف من وجوه الإعجاز التي امتاز بها القرآن الكريم وخصوصا الإعجاز البياني والإعجاز الإخباري والعلمي.

وجعل الفصل الثالث للحديث الشريف وآثاره البالغة التي وجهت الفكري العربي في تلك المرحلة، وصقلت الملكات الأدبية.. كما عرض لقضية تدوين الحديث وطرائق العلماء فيه حريصا على رواية بعض الأحاديث الشريفة.

وأفرد الفصل الرابع للنثر الإسلامي مستعرضا أهم أنواعه وفنونه وهي الخطابة التي ازدهرت في عهد الرسول ﷺ وعهد خلفائه الراشدين والتي احتفظت أمهات

الكتاب: المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي

المؤلف: د. محمود سالم محمد

الناشر: دار الفكر / دمشق

الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

عرض : التحرير

يقع هذا الكتاب في ستمئة صفحة تقريباً مع الفهارس المختلفة والمقدمة ويدخل مضمونه في الأدب الإسلامي لجلالة موضوعه وهو المدائح النبوية، مع ما هو معروف من المغالاة في بعض هذه المدائح لدى طائفة من الشعراء، أشار إليها المؤلف في أماكنها، كما أشار إلى استحداث عدد من البدع الدينية في العصر المملوكي مما له علاقة بمدح الرسول ص مثل الزيادة بعد الأذان، والتسميع الذي يكون قبل صلاة الفجر وقبل صلاة الجمعة في بعض البلدان الإسلامية، ومما يحمد للمؤلف أنه سماها بأسمائها.

وقد استفاد المؤلف من عمله الأكاديمي في إنجاز الكتاب بمضمونه الزاخر، ومما دفعه إلى تأليفه ما حاط العصر المملوكي وما سبقه من تشويه، وبتسميته عصر الانحطاط إلى جانب ما شهده هذا العصر من انتصارات ساحقة على المغول والصليبيين في آن معاً وما شهدته العلوم الأخرى من نهضة كبيرة إذ برز عدد كبير من العلماء تركوا آثاراً علمية موسوعية في شتى العلوم، مما يجعل الحكم عليه بأنه عصر انحطاط نوعاً من التناقض.

يعزو المؤلف مثل هذا الحكم إلى الأبحاث الاستشرافية في الأدب وتأثر الباحثين العرب بذلك، ومن هنا فقد انتبه بعض الباحثين على مثل هذه الآراء فأعادوا لهذا العصر اعتباره وأشادوا بما فيه من

كتب الأدب والتاريخ بقدر كبير منها استدعى الباحث كثيرا من نصوصها للاستشهاد بها على ما كانت تمتاز به من خصائص فكرية وفنية.

وجاء الفصل الخامس ليعرض لحركة الشعر في هذا العصر. وقد كان طبيعيا أن يقف وقفة خاصة متأنية عند قضية كثر فيها القول وهي قضية «الإسلام والشعر» أو موقف الإسلام من الشعر وما واكبه من توجيه ودعوة الرسول ﷺ الشعراء من أصحابه للدفاع عنه ونصرة الإسلام والرد على شعراء المشركين، كما كان الرسول نفسه ينشد الشعر ويستمع إلى إنشاده ويعجب به ويكافئ عليه..

أما موقف الإسلام من الشعر فقد وقف عندها الباحث الفاضل مستعرضا جوانب هذا الموقف المعارض والمؤيد من خلال بعض الأخبار والروايات والآيات وخاصة آيات «الشعراء» (٢٢٤-٢٢٦) مؤكدا أن هذا الموقف يتعلق بطائفة واحدة من طوائف الشعراء، والطائفة الأخرى أشارت إليها الآية الأخيرة (٢٢٧) وهم المؤمنون الذين ينتصرون لأنفسهم ممن ظلمهم.. كما دحض حجة المقررين لرفض الإسلام الشعر وإنكاره من خلال فكرة نفي الشعر عن الرسول ﷺ مبينا أن ذلك لم يكن غضا من شأن الشعر ذاته، بل تكريسا للمعجزة القرآنية وترسيخا لأثرها في نفوس العرب الفصحاء.

وقضية أخرى شاعت عند هذا الفريق وهي ضعف مستوى الشعر الإسلامي وقلته، وقد فندها من خلال الكم الهائل الذي وصل إلينا من هذا الشعر في كتب التاريخ والأدب والطبقات، كما عزا قلة الشعر الإسلامي إلى تحرج المسلمين من النظم في بعض الأغراض المنافية للأخلاق كوصف الخمر والغزل الفاحش وشعر العصبيات القبلية وما تورثه من تنافر وحزازات وعداوة وأحقاد تصادم المنهج الخلقي الإسلامي، ثم عرض لقضية أخرى من قضايا الشعر الإسلامي وهي قضية «دور الشعر في الدعوة» مؤكدا إسهام الشعراء البالغة في الدعوة إلى الإسلام وعدم تقصيرهم في هذا الجانب يؤيد هذا وفرة الشواهد التي استدعاها الباحث من لدن ابتداء الدعوة وحتى أظفر الله نبيه علي المشركين، وغدا الشعر وسيلة عظيمة الشأن من وسائل الدعوة إلى هذا الدين عبر تيار الوفود القبلية التي كانت تقدم على الرسول ﷺ لتسمع منه وتبايعه، كما عرض لدور الشعر في غزوات الرسول بدر وأحد وفتح مكة والأحداث التي تلت ذلك كحروب الردة والفتوح الإسلامية.

أما الفصل الأخير فقد وقفه على ثلاثة من شعراء العصر هم: حسان بن ثابت وكعب بن زهير والحطيئة مترجما لهم بإيجاز شديد، وعارضا لبعض نصوصهم مشفوعة بشرح لغوي وتحليل نقدي سريع التزاما بطبيعة الكتاب ومنهجه.

وبالجملة فالكتاب يمثل لبنة في صرح الأدب الإسلامي، ويمتاز بسلامة العرض ووضوح المنهج ونصاعة البرهان ووفرة الشواهد، وعمق التحليل ودقة الاستنتاج.. وهي أمور تجسدت بعمق ووضوح في مختلف الدراسات التي وضعها الأستاذ الباحث الفاضل وتحقيقاته الرائدة لبعض أمهات كتب الأدب.■

إنجازات في مختلف النواحي التي تمس الأمة.

ومن الناحية الأدبية يعد فن المديح النبوي من الفنون الشعرية التي بلغت ذروة كمالها الفني والموضوعي في هذا العصر على يد عدد من الشعراء الكبار، ذوي الاتجاهات المختلفة مذهبياً، وكما سبق فإن المؤلف أشار إلى ما في هذا الفن من المغالاة والخروج أحياناً عن الاعتدال الذي أمر الرسول ص به في مدحه.

ونظرة على هيكل أبواب الكتاب وفصوله توصلنا إلى الجهد الكبير الذي بذله المؤلف فقد جعله في أربعة أبواب هي:

١ - بواعث ازدهار المديح النبوي وانتشاره.

٢ - نشأة المديح النبوي وحدوده.

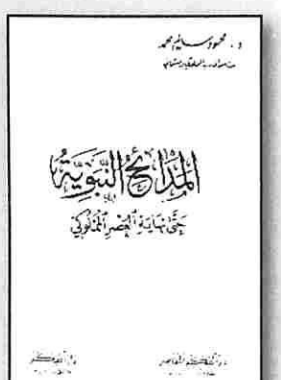

٣ - المدحة النبوية، وتناول فيها المضمون والأسلوب بتفصيلات كثيرة زادت على مئتي صفحة.

٤ - أثر المدائح النبوية، وجعله في أقسام هي: الأثر الاجتماعي، والأثر التعليمي، والأثر الثقافي، وخصوصاً في الإبداع الشعري.

يقول المؤلف: إن المدائح النبوية بالرغم من أنها كانت موضع العناية إلا أنها لم تفرد بمؤلف خاص سوى كتاب (المدائح النبوية في الأدب العربي) للدكتور زكي مبارك الذي جعله المؤلف فيما بعد كتاباً مستقلاً، وكان ضمن أبواب كتاب بعنوان (أثر التصوف في الأدب والأخلاق) ومن هنا نقدر لهذا الكتاب - الذي بين أيدينا - أهميته العلمية والأدبية.■